

راجح عبد الحميد سعيد

## الأمة المسلمة تكوين عقدي ومفهوم رسالي عالمي

### Abstract

This paper defines, linguistically and technically, the concept of Muslim Ummah as human gathering with a common link, such as race, land, people, interest, goal, and even religion. In Islam, this concept is very important and it is based on the idea of will and freedom of choice. However, without divine guidance, this concept could not be completely materialized. As a matter of fact, this divine guidance, in the form of true faith and religion structure, enables Muslims to congregate as brothers and interact effectively to form an ummah and rise to the apex of civilizations. This makes the Muslim Ummah the best and draws its human and universal functions to be a good example amongst all nations. In this paper, this concept is studied analytically based on its use in the Arabic Language and Quran. Its principles and distinguishing features are also deduced from a number of related verses in the Quran, to highlight its relevance, validity, and universality in human life.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين، ورسول رب العالمين بعثه الله للناس أجمعين، وأخرج الله به أمة مسلمة تحمل رسالة الإسلام، وتضمن عالميتها إلى قيام الساعة وبعد.

فقد لفت نظري في تكوين الأمم ، وتجمع الشعوب، أن لكل تجمع أمراً يجمعهم، فقد يجتمعون على دين أو على عرق أو في وطن أو على مصالح مشتركة. وتلتزم تلك التجمعات بالمحافظة على ما يجمعها من أجل بقائها وتحقيق مصالحها، وتتصارع تلك التجمعات من أجل البقاء.

ولكنني بقراءتي لمفاهيم الأمة لغة وفي اصطلاحات مختلفة، وبالدراسة المتمعة لمفهوم الأمة المسلمة كما أرادها الله عز وجل وكما ذكرها في كتابه العزيز وكما ربّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت في سنته وسيرته، وجدت معنى متميزاً لهذه الأمة المسلمة؛ فإنها تقوم على عقيدة آمنت بها؛ فتكوينها عقدي، وهي تحمل رسالة عالمية قائمة على التوحيد.

وهذا يحتاج الوقوف على تكوينها وأسس بنائها وخصائصها، والإجابة على أسئلة هذه الإشكالية.

- فهل صنع الإسلام مفهوماً للأمة تجاوز به جميع المفاهيم لتكوين الأمم؟
  - وهل كان ثمة مصطلح للأمة في هذا القرآن الكريم تشكل منه مفهوم الأمة المسلمة؟
  - وما المفهوم الذي أرساه القرآن لتشكيل الأمة المسلمة ؟
  - وما مدى أصالة هذا المفهوم في الرسالة الخالدة التي بشر بها إبراهيم عليه السلام؟
- وبالتالي فثمة خصوصيات لهذا المفهوم الذي جعل هذه الأمة قائمة على العقيدة في تكوينها كما جعلها ذات رسالة إنسانية عالمية في أهدافها وغاياتها، كما ضمن لها من أجل ذلك كله ديمومتها وعصمتها؟

وبالإجابة على هذه الأسئلة تكمن أهمية هذا البحث في تأصيل مفهوم الأمة المسلمة تأصيلاً يجعل تجمعها على العقيدة والإيمان في التكوين، وهي بالتالي خير أمة تحمل الخير للإنسان لتحقيق عالمية رسالته؛ فهي أمة يجمعها الإيمان، وينظمها الإسلام الذي يجعل منها أمة رسالة، وذات تأثير عالمي - عالمية - رسالة الإسلام الخالدة - بما يحقق لها ديمومتها



وعصمتها، فتكون هذه الأمة بمفهومها وخصوصياتها من ضمانات عالمية رسالة الإسلام الخالدة.

ولذا كان عنوان هذا البحث (الأمة المسلمة، تكوين عقدي ومفهوم رسالي عالمي) وتقوم خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المقدمة: وفيها مشكلة البحث وأهميته.

#### المبحث الأول: مفهوم الأمة

المطلب الأول: مفهوم الأمة لغة.

المطلب الثاني: مفاهيم مصطلحية للأمة.

#### المبحث الثاني: مفهوم الأمة في الإسلام:

المطلب الأول: مصطلح الأمة في السياق القرآني

المطلب الثاني: مفهوم الأمة المسلمة كما أرادها الله سبحانه.

#### المبحث الثالث: خصوصيات الأمة المسلمة:

المطلب الأول: خصوصية عالمية الأمة المسلمة.

المطلب الثاني: خصوصية الأمة المسلمة في وراثتها الرسالات الإلهية.

المطلب الثالث: خصوصية الأمة المسلمة في أن الله يحفظها من العذاب.

المطلب الرابع: دعم الأمة المسلمة وعصمتها

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

سائلاً الله عز وجل التوفيق لخدمة المفهوم العقدي لتكوين الأمة المسلمة والتأصيل المعرفي له من القرآن، بما يحقق استنهاض الأمة في تحرير ذاتها وتحقيق هويتها، واستعادة وظيفتها فيما اجتباها الله له من الشهادة الناس يوم يشهد عليها رسولها صلى الله عليه وسلم.

### المبحث الأول: مفهوم الأمة

#### المطلب الأول: مفاهيم لغوية للأمة:

وردت كلمة الأمة في اللغة لتدل على المعاني التالية:-

القصد والاتجاه والتجمع، وما يُتَجَمَّع عليه من الطريقة والدين لأنه أقوى ما يتجمع عليه الناس.

وقد ذكر الأزهرى<sup>١</sup> مجموعة هذه المعاني فيما نص عليه في كتابه تهذيب اللغة فقال: "يقال للرجل أمة (...). والأمة: الجماعة، والأمة: الرجل الجامع للخير، والأمة: الطاعة (...). وأمة الرجل: قومه" والأمة: الحين (...). كما قال الفراء. والأمة: المعلم. كما ذكر أن إمة -بكسر الهمزة- أيضاً معناها السنة والملة، من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [٢٢ الزخرف]، وأيضاً بمعنى دين من قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [٢١٣ البقرة]، أي على دين واحد، وأن "أمم" بمعنى قرون،

١- العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى (٢٨٢-٣٧٠هـ). كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة ثباتاً، له كتاب تهذيب اللغة وكتاب التفسير، وكتاب تفسير ألفاظ المزي وعمل القراءات وتفسير إصلاح المنطق. انظر الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، جزء ١٦، (ط ٩)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ص ٣١٧.

٢- الأزهرى، أبو منصور، محمد بن أحمد (٢٨٢-٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، الجزء الخامس عشر، تحقيق إبراهيم الإبياري، (د.ط)، (د.نشر). د.ت. ص ٦٣٥.

وَأَمَمْتُهُ: قَصْدُهُ، وَالْأُمَّةُ فِي الدِّينِ: أَيُّ أَنْ مَقْصِدَهُمْ وَاحِدٌ.

وهي تطلق على أمة المؤمنين وأمة الكافرين، وذلك تابع لاختلافهم في معنى قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. فبعضهم قال: كانوا على دين واحد وهو الإسلام، وذلك منذ آدم حتى نوح عليه السلام ثم اختلفوا وتفرقوا مؤمنين وكافرين، فبعث الله النبيين<sup>٣</sup>.

ويقول ابن فارس<sup>٤</sup> في تعريف كلمة الأمة لغة: "أُمّ: الهمزة والميم أصل واحد يتفرع عنه أربعة أبواب؛ الأصل والمرجع والجماعة والدين"  
والإمّة - بكسر الهمزة -: العيش الرّخيّ (...) كما ذكر ذلك الأزهرى أيضاً  
أن "الإمّة بكسر الهمزة: العيش الرّخيّ"<sup>٥</sup>

---

٣- انظر المرجع السابق، ص ٦٣٥-٦٣٦. وانظر الطبري، ابو جعفر محمد بن محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن، المعروف بتفسير الطبري، الجزء الرابع، تحقيق محمود أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص ٢٧٥.

٤- ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس ابن زكريا المقيم عرف بابن فارس (ت ٣٩٥) كان بمهذبان من أعيان وأفراد الدهر، عرف باللغة وله في اللغة المحمل وفقه اللغات ومعجم مقاييس اللغة، قال عنه ياقوت: وهو كتاب جليل لم يصنف مثله وله أيضاً كتاب في السيرة والتفسير وفي خلق الإنسان وفي أسماء النبي صلى الله عليه وسلم. انظر السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، طبقات المفسرين، تحقيق علي محمد عمر، (ط ١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ص ٢٦ وانظر السيوطي، لغة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (ط ١) المكتبة العصرية، لبنان (د.ت) ص ٣٥٢.

٥- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الاول، (ط ٢)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م، كتاب الهمزة، ص ٢٧.

٦- الأزهرى، ١٥/٦٣٥.

وثمة رأي أن مصدرها الأُم بمعنى القصد، من أُمّه بمعنى قَصْدِهِ، والامّة - بكسر  
الهمزة وضمّها- فإن كُسرت الهمزة -إمّة- كانت بمعنى الحالة والشرعة والدين، وإن  
ضُمَّت الهمزة -أُمّة- كانت بمعنى الرجل الجامع للخير، والجماعة أرسل إليهم رسول  
ولهذا يسمّى الرجل الجامع للصلاة إماماً، لأنه يجمع الناس على الخير وهي  
الصلاة، ويقال للحاكم إماماً لأن الناس يجتمعون عليه فهو رئيسهم، وللعالم الكبير الذي  
يجتمع عليه الناس فيأخذون منه ويقتدون به إماماً.

وكسر همزة إمة لغة عند العرب وإن لم تكن مشهورة، ذكرها بعض القدماء من  
أهل اللغة في معرض تعريفهم لها، وهم يستشهدون بالآيات الكريم، حيث قال الأخفش  
وهو من علماء القرن الثاني الهجري: "الإمة أيضاً لغة " <sup>٨</sup> مستدلاً على ذلك بكلام الشاعر  
الناطقة الذبياني في قوله:

حلفت فلم أترك لنفسك رية      وهل يأثمن ذو إمّة وهو طائع

أي ذو طاعة ودين. وقال ابن السكيت: أي ذو قصد واستقامة <sup>٩</sup>. وجدير  
بالذكر أنها لغة، ولا يتطرق إلى الذهن من إيراد علمائنا لها في معرض استدلالهم بالآيات  
القرآنية التي وردت فيها كلمة أمة أنها قراءة قرآنية <sup>١٠</sup>

٧- الفيروز آبادي، انظر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، (ت ٨١٧هـ)،  
القاموس المحيط، الجزء الرابع، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م، باب الميم، (طبعة جديدة  
لوفان)، ص ٧.

٨- الأخفش الأوسط، أبو الحسن، سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، (ت ٢١٥هـ)، معاني  
القرآن، الجزء الأول، تحقيق فائز فارس، ط ١، المطبعة العصرية، الكويت، ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م، ص ٢١٢  
٩- انظر توثيق بيت الشعر من ديوان النابغة ٥١ ودواوين الستة ١٦٣ هامش ٧٦، المرجع السابق ٢١٢/١.  
١٠- فقد عدت إلى أمهات كتب القراءات القرآنية العشر مثل كتاب تحبير التفسير في القراءات العشر  
لشمس الدين الجزري (ت ٨٣٣)، تحقيق أحمد القضاة ط ١، دار الفرقان، عمان، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.  
وكتاب حجة القراءات لأبي زرععة المعروف بابن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، ط ٢، مؤسسة الرسالة،  
بيروت، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م. وكما استعرضت المصحف وبهامشه القراءات العشر المتواترة من اعداد  
الشيخ محمد كريم راجح، ط ٣، دار المهاجر، المدينة المنورة، ١٤١١هـ= ١٩٩٤م ولم أجد أية اشارة إلى  
أن إمة بالكسر قراءة قرآنية متواترة ولا صحيحة ولا شاذة.



ويؤكد القرطبي في تفسيره على مفهوم الجماعة لكلمة أمة بأنها الجماعة من الناس التي تؤم جهة معيّنة<sup>١١</sup>.

ويؤيد الراغب الأصفهاني<sup>١٢</sup> هذا المعنى في كتابه "مفردات القرآن" بقوله: "الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما؛ إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً وجمعها أمم"<sup>١٣</sup> وبالتالي فالأمة من البشر لغة من كانت على أصل واحد، أو مرجع واحد يجمعها، أو في تجمع واحد على هيئة جماعة، أو ما كان دين واحد يجمعها ويوصلها وهو مرجعها، فكل جماعة من البشر لها مرجعية من أصل أو دين فهي أمة.

#### المطلب الثاني: مفاهيم اصطلاحية للأمة:

طالما كان مفهوم الأمة لغة فيه التجمع والجماعة، وشيء يجمع الناس من مفاهيم أو لغات، أو أصول؛ عرقية أو وطنية أو جغرافية، فقد كانت نظريات مختلفة لتحديد هذا المصطلح بحسب اختلافات الناس والأمم فيما يجمعها. ونظريات اليوم ليست مختلفة عن النظريات التاريخية للأمم السابقة. ولكل نظرية ما يبررها.

---

١١- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، المعروف بتفسير القرطبي، الجزء الثاني، نشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، ص ١٢٧.

١٢- الراغب الأصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، لم تعرف سنة ولادته ومات سنة ٥٠٢هـ، وصف بأنه أحد الأئمة أهل السنة لأنه رد في كتابه المفردات على المعتزلة والجبرية والقدرية. وكان متمكناً من اللغة العربية. من كتبه: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، والذريعة إلى مكارم الشريعة، ومحاضرات الأدباء، وكتاب في التفسير لم يكمله، ومن أجل كتبه المفردات في غريب القرآن رتب على الحروف الهجائية للكلمات الصعبة في القرآن لا يستغني عنه باحث في التفسير. انظر مقدمة المفردات ص ٣.

١٣- الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد الكيلاني (د.ط)، دار المعرفة، (د.ت) ص ٢٣.

فبعض النظريات ركّز على القومية الواحدة لتكوين الأمة، ومن ثم كانت اللغة: "روح الشعب وهي خير معبر عن فكره ومزاجه وحساسيته وأصالته، أي أن القومية كائن عضوي ظاهرته الأساسية اللغة البدائية للشعب" <sup>١٤</sup>.

وتُعزى هذه النظرية إلى النظرية التاريخية الألمانية، التي ترى أن "الأمة هي جميع الذين يتكلمون لغة واحدة" <sup>١٥</sup>.

وجاءت النظرية الإيطالية لتعزز المفهوم القومي للأمة كما يراها مانشيني الأستاذ في جامعة تورينو الإيطالية عام ١٨٥١م، إذ يرى أن "الأمة مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأصل والعادات واللغة من أجل الاشتراك في الحياة والشعور الاجتماعي" <sup>١٦</sup>.

وتليهما النظرية الفرنسية التي يمثلها المستشرق الفرنسي آرنست رينان إذ يعرف الأمة بأنها "روح وجوهر معنوي، أو هذا الجوهر المعنوي يتألف من أمرين؛ أحدهما يعود إلى الماضي، وثانيهما يتعلق بالحاضر ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً"

وبعض النظريات الأخرى تركز على مفاهيم جامعة للناس من مصالح؛ سواء أكانت اقتصادية - بالمفهوم العام للاقتصاد- حيث ترى أن "لا أمة دون حياة اقتصادية

---

١٤- الشهابي، إبراهيم يحيى، الشخصية العربية، (ط١) دار الفتح، دمشق، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص١١-١٢. والشهابي، الإسلام دين الوحدة، (ط١) منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ١٩٩٨م، ص١٤.

١٥- المرجع نفسه، ص١٣.

١٦- نفسه، ص١٤. ويعزو إلى عصمت سيف الدولة نظرية الثورة العربية. (٢) الأسس، البعد الرابع، الطليعة العربية، (ط١)، دار السيرة، بيروت، ١٩٧٩م، ص١١.

١٧- الشهابي، الإسلام دين الوحدة، ص١٥.

مشتركة، لتصنع قوتها، كما هي النظرية البراغمية الأمريكية<sup>١٨</sup>، أم اقتصادية بمفهوم الصراع الطبقي المادي الديالكتيكي للاقتصاد عبر الاشتراكية، انتهاء بالشيوعية، كما هي الماركسية.

ولكن الذي يجمع هذه النظريات كلها أنها قامت على العلمانية أو بتعبير أدق على اللادينية، حيث طردت الدين من مفهوم تشكيل الأمة، حسب نظرهم لواقع الدين المسيحي لديهم، وفشل الكنيسة في تشكيل أمة تنتمي إلى الدين.

وكل هذه النظريات، كما النظريات التي سبقتها في أصولها لدى الأمم السابقة من اليونان، والرومان، رغم الأديان السابقة للإسلام والفلسفات المثالية والواقعية؛ من أفلاطونية وأرسطية لم تستطع تلك أن تنجح في تشكيل مفهوم أمة بمنطق يتجاوز الجغرافيا، أو القوم أو المصالح المادية، وإلى زماننا هذا. وكل ما يمكن إفادته من استعراض تلك النظريات أن نصل إلى الحقائق التالية:

١- إن التركيز على القومية أو العرق في تكوين الأمة كان يؤدي دائماً إلى لون من ألوان التعالي والاستكبار البشري القائم على أفضلية العرق أو ما يسمى بالشوفينية أو العنصرية<sup>١٩</sup>. ولقد كان هذا اللون من الاستكبار موجوداً بين يدي رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على مستويات مختلفة في الأمم؛ فالعرب كانوا جاهليين، وكانوا يعيشون حياة جاهلية ممزقة بسبب الروح القبلية التي حطمت إحساسهم حتى بأنهم أمة عربية واحدة من الناحية العرقية، وإن كانوا يعتقدون أن عزهم في مواجهة الإسلام أنهم كانوا يعتزون بدين الآباء والأجداد كما وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف ٢٢].

١٨- انظر المرجع السابق، ص ١٥-١٦.

١٩- المرجع نفسه، ص ٢٨.

٢- إن اليهود على سبيل المثال في الجانب الديني كانوا يعتزون بأنهم بنو إسرائيل قومياً، وحوّلوا الدين إلى مفهوم قومي ليغيروا مفهوم الأفضلية بسبب الدين والتقوى إلى الأفضلية العنصرية بكونهم شعب إسرائيل أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، كما وصف الله زعمهم ذاك بقوله:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ﴾ [المائدة ١٨]، ولذلك رسموا علاقتهم العنصرية أو القومية الدينية في تشكيل مفهوم الأمة المنحرف لديهم، وفي رسم علاقتهم بالآخرين من كبر واستعلاء وحقد، واستباحة ظلم وقتل، كما وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران ٧٥] والأميون أي غيرهم من الشعوب ويسمونه "جويم".

٣- انتهت الدولتان الكبيرتان آنذاك -الرومان والفرس- إلى صراع بين أمتين تحملان مفهوم المصالح الاقتصادية والاستعمارية والتنافس في النفوذ، وإن كانت السمة الظاهرة للروم بأنهم نصارى لغلبة النصرانية في أمة رومانية كانت وثنية قبل ذلك، ولم يشكل الدين النصراني مفهوم الأمة الدينية لديها، لأنه دين قديم لا ليصنع أمة صناعة شاملة، بل قديم ديناً منقوصاً قائماً على قاعدة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله)، وهو أول إعلان لفصل الدين عن الحياة، زعمه بولس، ليتجنب سحق الدولة الرومانية.

أما الطابع المادي فقد غلب على أمة الفرس من عبادة النار وسائر المعتقدات المادية، ولكن الروح القومية الفارسية كانت هي السائدة، ولها مصالحها ونفوذها.



وبالتالي فقد اختلطت في تشكيل تكوين الأمة مفاهيم متعددة، من العرقية إلى القومية إلى الوطنية إلى المصالح إلى الدين المحرف أحياناً.

ومجمل القول بعد هذا الاستعراض أن تعريف الأمة بأنه الاجتماع على أصل جامع يؤمّه جمع ويميّزهم عن غيرهم، هو تحقيق للمفهوم اللغوي لكلمة الأمة بغض النظر عما يجمعهم.

ولكن المفهوم الأصيل للأمة التي أرادها الله تعالى وكوّنها من أجل تحقيق الوجود الإنساني الكريم على وجه الأرض للقيام بوظيفة الاستخلاف؛ إنما هو الذي يقوم على أسس عقدي أو إيماني لتكوين هذه الأمة، مقراً للعامل الإنساني والتجمع البشري للإنسان بصفته إنساناً، وبغض النظر عن قبيلته وعرقه وجنسه ووطنه؛ فالبشر تجمعهم إنسانية واحدة، وأصلهم واحد فكلهم لآدم، ولهم رسالة ربانية تجمعهم وتصنع هويتهم، وتشكل غاياتهم وأهدافهم، إذ أنها تقوم على نظرة صحيحة للكون والإنسان والحياة، وعلى منهج للعمل ومنظومة للقيم، تتجاوز حدود العرق واللون والتاريخ والجغرافيا، ولهم لغة جامعة يحسنون بها فهم دينهم، ويحسنون بها التخاطب والتفاهم فيما بينهم، وإن تعددت لغاتهم وألوانهم وأجناسهم؛ فهم شعوب وقبائل أراد الله لها التعارف، قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣]، هذا يدعونا إلى أن نتحقق من مفهوم الأمة في كتاب الرسالة الخالدة الخاتمة، لتتحقق من هذا المفهوم الأصيل في عبارات القرآن، وكيف له أن ينتهي بنا إلى المفهوم الحقيقي للأمة المسلمة من حيث تكوينها، وأساس اجتماعها، وهدف وجودها، وغاياتها في ضوء رسالة الإسلام العالمية.

وبين يدي تحقيق مفهوم الأمة المسلمة كما أرادها القرآن نستعرض كلمة الأمة

في النص القرآني في سياقاتها المتعددة.

**المبحث الثاني : مفهوم الأمة في الإسلام**

**المطلب الأول: الأمة في السياق القرآني:**

وردت كلمة أمة مفرداً وجمعاً في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعاً

وفي كل موضع وردت يتحقق فيها المعنى اللغوي من حيث الجمع أو الجماعة التي لها مقصد معين، تتفاعل معه، بغض النظر عن مكان وجودها، أو زمان وجودها. ولأن القرآن تحدث عن الأمة في سياقات تاريخية مختلفة زماناً، ومكاناً، وأدياناً، ومعتقدات، وإيجاباً، وسلباً، إلا أن هذا المعنى اللغوي متحقق فيها جميعاً.

ويمكننا تلخيص سياقات ورود هذا المصطلح في القرآن على النحو التالي:-

أ- وردت كلمة أمة للدلالة على الناس بصفاتهم الجماعة الكبرى التي خلقها الله تعالى: على مرّ تاريخها بحيث تؤم مقصداً واحداً وهو الدين، ولتكون موحدة عليه، وغير متفرقة عليه ولا مختلفة فيه، وقد يعني بها الملة<sup>٢١</sup>. وفي الآيات الكريمة التالية نجد هذه المعاني:

١- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة ٢١٣].

٢- ﴿كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس ١٩].

٢٠- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (د.ط)، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د.ت)، ص ٨٠-٨١.

٢١- انظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، الجزء الثاني (د.ط) المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص ٧٩ وانظر الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٣.

- ٣- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْتلُوكُمْ فِي مَآءَاتِنَكُمْ﴾ [المائدة ٤٨].
- ٤- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [النحل ٩٣].
- ٥- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود ١١٨].
- ٦- ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٩٢].
- ٧- ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون ٥٢].

واستدل بعضهم بهذه الآية على أن معنى الأمة هو الطريقة المستقيمة وعلى قوله تعالى ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران ١١٣] وللدلالة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.<sup>٢٢</sup>

وبما قاله الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: "فتأويل الأمة على هذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس الدين (...) وأصل الأمة الجماعة تجتمع على دين واحد"<sup>٢٣</sup>

ب- ووردت لتدل على الجماعة من الناس التي لها معتقداتها وعملها وأصلها وما تمسك به، ولها رسولها والشاهد عليها، وذلك في قوله تعالى:

٢٢- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت ٧٥٦)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق عبد السلام أحمد التوتنجي الحلبي، (ط ١)، طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ١٩٩٠م، ص ١٨٨.

٢٣- انظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، الجزء الثاني (د. ط) المكتبة العلمية، بيروت، (د. ت)، ص ٧٩ وانظر الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٣.

- ١- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ١٣٤، البقرة ١٤١].
- ٢- ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر ٢٤].
- ٣- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ [يونس ٤٧].
- ٤- ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد ٣٠].
- ٥- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل ٣٦].
- ٦- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُّوَلَاءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء ٤١].
- ٧- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف ٣٤].
- ٨- ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف ٣٨].

ت- ووردت لتدل على مجموعة متميزة باعتقادها وسلوكها الخير والدعوة إليه، فهي تملك اسم الأمة بالخير الذي تقصده وتؤمّه وتجتمع عليه دون قومها<sup>٢٤</sup>، ومن ذلك قوله تعالى:

- ١- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران ١١٣].
- ٢- ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ٦٦].



٣- ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف ١٥٩].

٤- ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف ١٨١].

ث- وردت بمعنى الزمن والحين قال الفيروز ابادي: "أمة يعني لسنين الخالية

"واسنين المعدودة"<sup>٢٦</sup>، وقال السمين الحلبي: "والأمة: الجماعة من الناس يجمعهم أمر اما دين أو زمان"<sup>٢٧</sup> ويبدو أن ارتباط الأمة بالزمن لأن في مفهوم الأمة ما يرسخ المفاهيم لتبنيها وتطبيقها، ولتحفر في ذاكرة الزمن وجودها وقوة تجمعها وضغطها وآثارها، أو لأن "تفاعل الفكر مع مجموعة من الناس الذين يتبنونه يحتاج إلى زمن معين ليتجذر في نفوسهم ويستوعبه قولاً وعملاً، ويصبحوا تجسيدا حياً لهذا الفكر"<sup>٢٨</sup>، قال تعالى:

١- ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾

[يوسف ٤٥]

٢- ﴿أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود ٨]

ج- ووردت لتدل على القوم<sup>٢٩</sup> لهم دين ونسك، بحيث يصبح لهم قوة الارتباط بذلك حتى ولو كان ذلك الدين قد غُيِّرَ أو حُرِّفَ كما زعم المشركون أنهم يتبعون دين الآباء والأجداد ويقدّسونه، ويجعلون ذلك مبرراً لعدم قبولهم الإسلام، ومن ذلك قوله تعالى:

٢٥- الفيروز ابادي، بصائر ذوي التميز، ٩٧/٢

٢٦- الدماغي، ص ٤٣

٢٧- الحلبي، ص ١٨٧

٢٨- الشهابي، الإسلام دين الوحدة، ص ٦٠.

٢٩- الدماغي، ص ٤٣

- ١- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾  
 (الحج ٣٤) ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج ٦٧]
- ٢- ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف ٢٢، ٢٣]، واستدل بهذه الآية على أن القرآن عني بالأمّة فيها الدين الفيروز آبادي في كتابه بصائر ذوي التمييز

ح- وعلى العموم فقد ترد كلمة أمّة ويراد بها التعبير عن الكثرة، كما عبّر عن العدد من الرعاة الذين يسقون الأغنام حين أشفق موسى على البنتين اللتين سقا لهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [القصص ٢٣]. قال الفيروز آبادي مستدلاً بالآية على أن الأمّة "بمعنى القوم المحدود

خ- وقد تطلق على الواحد ويقصد به الأمّة، إما لكونه إماماً للجمع الكبير من الناس الذين يتبعونه، فهو إمامهم في الخير، فهو الأمّة بكثرة الأتباع<sup>٣٢</sup>، وبصلاحيته للإمامة الكبرى في الخير لهم، أو في كثرة عقبه وذرياته ممن هم على دينه، أو لأنه كان مدرسة فكرية منطلقها التوحيد، وكان يمثل أمّة، بل كان أمّة تتبنى هذا الفكر وتعمل به أو لأنه "الجامع للخير"<sup>٣٣</sup>، "ولأنه كان اماماً يقتدى به"<sup>٣٤</sup> لذلك قال تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾. [النحل ١٢٠].

٣٠- الفيروز آبادي، محمد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الجزء الثاني (د.ط) المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص ٧٩.

٣١- انظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٨٠/٢.

٣٢- انظر المعنى، الطبري ٢٧٦/٤.

٣٣- انظر الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٧٩/٢.

٣٤- الدامغاني، ص ٣٤.

ث- وقد يتجاوز الأمر في إطلاق كلمة الأمة في القرآن الجمع البشري الموحد الاتجاه أو الدين إلى غير البشر من المخلوقات التي يجمعها رباط النوع من المخلوقات الحية، إذ بينها تشارك في الصفات والتفاهم وأنماط الحياة، وهي عابدة لله تسخيراً، تسبح بحمده، وإن كنا لا نفقه لغاتها ولا تسبيحها، من ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام ٣٨].

د- وقد تطلق على الجمع المتميز من البشر إما بجنس أو قوم أو شعب أو من يعيش في بقعة جغرافية جاءهم دين ليوحدتهم على مقصد واحد، ويخرجهم من تشتتهم كما في قوله تعالى: مشعراً بعدالته في إقامة الحجة بالأنبياء والرسل على جميع البشر في مختلف فترات وجودهم:

١- ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر ٢٤]

٢- ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد ٣٠]

ذ- وردت بمعنى العصبية<sup>٣٥</sup> في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة ١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران ١١٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف ١٥٩].

٣٥- وانظر الدماغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٢-٤٣.

وبعد استعراض هذا القدر من الآيات ومفاهيم كلمة أمة فيها فيمكننا أن نسجل الحقائق التالية، فيما يدل عليه هذا المصطلح في القرآن:

**الحقيقة الأولى:** فسر كثير من المفسرين هذه الكلمة بأنها الجماعة والقرن من الناس، والدين والملة، والناس على دين واحد، والإمام يقتدى به في الخير، والأجل المحدود، ومجيء أمة وانقراض أخرى، وأنها الطريقة<sup>٣٦</sup>

**الحقيقة الثانية:** إن إطلاق كلمة أمة مما يدل دائماً على جماعة متميزة عن غيرها من الجماعات التي يغلب فيها الجنس البشري، والمكون الفكري والعقدي، والتفاعل الاجتماعي، والحياة التي تصنع حضارة أو وجوداً حضارياً منبثقاً من دينها ومنهاج حياتها وقيم سلوكها، وأن لها آثاراً دالة على وجودها وحضارتها، وأن لها عطاء ورسالة حضارية لفائدة الجنس البشري وبقائه وسعادته، وأن تلك الأمة التي تحمل هذا كله وتتصف به تتميز به عن القطاعات الإنسانية الأخرى التي لا يجمعها دين مع ما يمكن أن يجمعها من سكن جغرافي، أو قومية أو شعب واحد، أو جمع كبير وعدد كثير، أو زمن واحد أو أية روابط اقتصادية أو مصلحية أو سياسية غير الدين.

**الحقيقة الثالثة:** ومن الجدير بالذكر أن للغة دوراً كبيراً في مفهوم الأمة، في أساس تكوينها إذ أن الدين يحتاج إلى لغة فهم لنصه، واللغة ضرورة للتخاطب بين أفراد الأمة، ولتوحيد مرجعيتها وفكرها، وتوجيه حياتها، فاللغة ضرورية في تشكيل الشخصية الحضارية التي تقوم على الدين مكوناً أصيلاً لأنها "تعبّر عن هذا الفكر، (...) وتفاعله (...)"، وعن الحضارة الناجمة عن هذا التفاعل<sup>٣٧</sup>.

---

٣٦- انظر: الطبري، جامع البيان، ٣٣٤/٢-٣٣٦، ٤٣/٤-٤٤، ٤٦/٤، ٥٦٣/١١، ٦٠/٢٥-٦١. وانظر الكيلاني، ماجد عرسان، إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضاها، كتاب الأمة رقم ٣٠، (ط ١) رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ١٤١٢هـ، ص ١٩-٢٠.

٣٧- الشهابي، الإسلام دين الوحدة، ص ٦٣.



**الحقيقة الرابعة:** ثم إن الدين كمقصد يجمع الأمة في القرآن هو الدين بالمصطلح القرآني، إذ هو عقيدة وعبادة ومنهج حياة وسلوك، ومنظومة قيم تضبط مشاعر الإنسان، وشعائره وشرائعه وتصرفاته باطنياً وظاهراً، والذي يقوم كله على عقيدة التوحيد؛ لأنه لا يصلح دين لا يقوم على عقيدة التوحيد أن يوحد مشاعر الأمة وحياتها وجماعتها، كما لا يصلح أن يجد لها حلولاً لمشاكل حياتها، في دنياها وآخرتها. ولذلك كان الإسلام باعتباره دين التوحيد على مرّ تاريخ البشرية عنوان تشكيل الأمم، وهو الذي دعا إليها جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، وخُتم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، مما يجعله فكراً حضارياً قائماً على التوحيد، وقادراً على تفسير وجود الكون والإنسان، والحياة، وفيه مصدر نظام الحياة، والسلوك الشامل لكل مناحي الحياة الإنسانية الفردية والجماعية، والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، والدنيوية والأخروية، والمحلية والعالمية، والقيم الصحيحة، متجاوزاً بذلك المذاهب والقيم والأفكار البشرية، والحلول الجزئية والقطرية والقومية والوطنية والشعبية والمكانية والزمانية.

**الحقيقة الخامسة:** ومن استعراض تاريخ الإنسان على وجه الأرض، من كتب التاريخ، ومما ورد في القرآن الكريم، نجد أن الوطن وحده، أو القومية وحدها، أو العرق وحده، أو المصالح وحدها، أو الأفكار الأرضية وحدها - وإن كانت تجمع جموعاً من البشر ليتفاعلوا وفق تلك الجوامع - لم تنجح كلها في تشكيل مفهوم الأمة كما هو الهدف من وجود الأمم التي عناها القرآن بمصطلحه، إذ أن مفهوم الأمة في القرآن فيه وحدة الإنسانية القائمة على الإيمان بالله وتوحيده لتصنع فكرها ومناهجها ولتجد فيها سعادتها في دنياها وآخرتها، ولتجد فيها رقيها وقدرتها على مهمة الاستخلاف في الأرض التي أنيطت بوجودها عليها.

وهذا يقودنا بالتالي إلى ضرورة معرفة المفهوم الحقيقي للأمة المسلمة الذي قصده القرآن، وقصد إليه في آياته التي حملت لفظ الأمة في الرسالة الخاتمة، رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، رسالة التوحيد، من أجل تشكيل واقع للأمة العالمية أو الأمة المسلمة ذات الرسالة العالمية التي تسعد الإنسان في الأرض كلها إلى قيام الساعة، مما يشكل الحقيقة النهائية لمفهوم الأمة المسلمة نظرياً وعملياً، بما يجعل هذا المفهوم في ذاته ضماناً لعالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولوظيفة الأمة المسلمة.

### المطلب الثاني: مفهوم الأمة المسلمة كما أرادها الله سبحانه:

بعد النظر في حديث القرآن عن الأمة والأمم، وقد جاء ليعلم عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وخاتميتها وخلودها، فقد وجه مفهوم الأمة إلى المفهوم العالمي لها طبقاً لرسالته العالمية، إذ جعل هذا المفهوم بمعناه العام والواسع والصالح من مجموعة المعاني السابقة من حيث العنصر الإنساني المتجمع الذي له دين ورسالة، كما دعا إليه إمام التوحيد الكبير إبراهيم عليه السلام الذي كان أمة، وقد أسس لمفهوم الأمة المسلمة العالمية، ودعا الله سبحانه أن يجعل من ذريته الأمة المسلمة التي تحمل هذا التوحيد وهذا الإسلام ليكون رسالة للعالم، ولتكون الشاهدة على الناس إلى يوم القيامة، والمربية والمزكية لنفسها قلباً وعملاً، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل ١٢٠]، وقال سبحانه ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة ١٢٤]، هذه هي الأمة المسلمة التي أسس لها إبراهيم، لتكون هي أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي قال الله فيه: ﴿كَمَّا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ١٥١]. والتي وصفها بالأمة الوسط والشاهدة على الناس، ووصف الرسول بأنه شهيدٌ عليها، بقوله

[البقرة ١٤٣] وفرض عليها:

كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠﴾ [الأنعام ١٠].

۱۰۸. أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿النساء ۵۸﴾.

كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج ٧٨].

ولذلك فقد اختص الله تعالى من يجتمعون على الإسلام ديناً، عقيدة ورسالة. بمصطلح الأمة المطلوبة القائمة بالوظيفة النهائية لكل التجمعات والأمم السابقة لتجتمع على الإيمان تكويناً وعلى الشهادة على الناس جميعاً والدعوة إلى الخير وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث أصبح هذا المصطلح للأمة يعنيها ولا يعني غيرها، ومن ذلك ما ذكره الدامغاني في المعنى السابع للأمة حيث قال: "أمة يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة" <sup>٣٨</sup> مستدلاً بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١١٠] يعني المسلمين وقوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة ١٤٣] يعني أمة عدلاً بين الناس، يعني المسلمين خاصة. <sup>٣٩</sup>

وهو أيضاً ما قرره الفيروز آبادي يجعله المعنى العاشر للأمة في ألفاظ القرآن "بمعنى أهل الإسلام" <sup>٤٠</sup>

ومن استعراض تلك الآيات التي تتحدث بالتحديد عن الأمة بالمفهوم الحقيقي والصالح، وهي الأمة بالمفهوم النهائي -أي الأمة المسلمة- نجد أن العناصر المكونة لهذا المفهوم للأمة المسلمة هو المناسب لعالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ أن الله جعل رسالته عامة خالدة وخاتمة، وبالتالي جعل مفهوم أمة هذه الرسالة مناسباً ومتوافقاً مع عالمية هذه الرسالة، بل جعل من مفهوم الأمة المسلمة ضمانات من ضمانات عالمية الرسالة، إذ جمع في هذا المفهوم كما وجدنا في الآيات السالفة القضايا التالية:

٣٨- الدامغاني، ص ٤٤.

٣٩- انظر المرجع نفسه.

٤٠- الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ٢/ ٨٠.



أ- عالمية التجمع للعنصر البشري، المكوّن للأمة، فهو كل من آمن بالإسلام دون النظر إلى قومه وعرقه وجنسه وموطنه وأي شيء مما يخصّه، إذ كل من آمن بالإسلام هو مُنتمٍ لهذه الأمة؛ فالإيمان أو التوحيد والإسلام هو المشترك في هذا التجمع البشري أو المكون لمفهوم هذه الأمة.

ب- المنهج أو الشرعة أو الدين الشامل وهو الإسلام هو الفكر والسلوك، والعقيدة والشريعة، والنظام والقيم التي يترتب عليها أفراد هذه الأمة، والعدل هو قوام الحياة بين أفرادها، بل لا بد أن تشيعه بين الناس جميعاً بحكم كونها أمة عالمية تتعامل مع الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء ٥٨].

ت- هذه الأمة صاحبة رسالة، فهي أمة رسالية شاهدة على الناس، وصدق إسلاميتها أو صدق نسبتها إلى الإسلام بقيامها بوظيفتها، فإسلامها وظيفي بالشهادة على الناس، وليس مجرد دعوى باللسان: ووظيفتها الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤].

ث- قيمتها عند ربها بخيريتها، وخيريتها مستمدة من قيامها بوظيفتها المنبثقة من رسالتها، ووصفها الله تعالى: بالتالي بالوسطية والخيرية. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران ١١٠].



ج- ضمن الله تعالى هذا المفهوم للأمة المسلمة، بضمان عالمية رسالة الإسلام، وحفظ كتابه وسنة رسوله، نظرياً لتقوم هي انبثاقاً من مفهومها بوظيفتها لتضمن عالمية الرسالة عملياً.

فهذا المفهوم للأمة تكويناً، ووسطية، وخيرية، ورسالة، ووظيفة وجهاداً، يمثل ضماناً عملية لعالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا المفهوم الاصطلاحي -إن صح التعبير- للأمة بمفهومها الصحيح والشامل ولد بميلاد رسالة الإسلام، والتي بشر بها إبراهيم عليه السلام، ومن ثم كان إبراهيم أمة كما وصفه الله تعالى.

وهو مفهوم متميز، وجديد على التجمعات الإنسانية، إذ أن التجمعات قد تكون قبلية أو قومية أو عرقية أو دولاً تجمعها مصالح، أو إمبراطوريات تجمع قوميات كثيرة، أو شعوباً متعددة تجمعها انتماءات لمصالح، أو أقواماً وشعوباً ربما كان يجمعها دين، ولكنها خرجت على المفهوم الصحيح للدين. إلا أن الإسلام باعتباره الرسالة العالمية العامة الخاتمة أعطى مفهوماً جديداً متميزاً للتجمع الإنساني "يقوم على الأساس العقائدي المشترك، فالإسلام بما يتضمنه من تصور لحقائق الوجود، من الكون وما وراء الكون، ومن قواعد سلوكية وقيم أخلاقية، ونظم تشريعية هو العامل المشترك بين أفراد هذه الأمة" وبغض النظر عن شعوبهم وأقوامهم، وأصولهم العرقية، فهو مفهوم يقوم على التجمع الإنساني المبني على الحرية الإنسانية التي تسمح بحرية الاعتقاد. فمن قبل الإيمان والإسلام التزم بمفهوم الأمة، ولأئ وانتماء، إيماناً وأحكاماً، رسالة ووظيفة. ومن لم يقبل

٤١- بل العقدي بالتعبير الصحيح لغة وواقعاً، إذ النسبة للمفرد أفضل، ولأن الإسلام له عقيدة واحدة وهي التوحيد.

٤٢- المبارك، محمد، نظام الإسلام، الحكم والدولة، (ط٢)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ=١٩٧٤م، ص ١٠٠-١٠١.

الإسلام -دين الأمة المسلمة- كان له حكم في مفهوم الأمة المسلمة، فهو؛ إما ذمّي يعيش مع الأمة بأحكام شريعتها، وإما معاهد مسالم تحترم معاهدته ويوفّى بشروطها، وإما محارب وله حكم دار الحرب.

والإسلام بهذا كله لا يلغي انتماء أفراد الأمة لأقوامهم وشعوبهم، وحتى للغاتهم، مع اعتبار لغة القرآن لغة الأمة الرئيسة لأنها لغة الدين ولغة الفهم له، والتفاهم به، ولا يلغي حريات الآخرين من غير المسلمين في عباداتهم ولا علاقاتهم فيما بينهم، مما لا يخالف أعراف الإسلام ونظمه العامة، لأن الوعاء الحضاري للأمة المسلمة يستوعب شعوبها كلها، كما يستوعب مسلميها وغير مسلميها.

وهكذا جاء الإسلام في تطبيقاته في صناعة الأمة وصياغتها، بل في إخراجها إخراجاً، ولعل أول من عبّر بالإخراج سيد قطب<sup>٤٣</sup> في تفسيره<sup>٤٤</sup> لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء ١٠]. حيث يقول: "أخرج الله هذه الأمة بالقرآن إخراجاً جديداً، وصنعها لتصبح أمة فريدة في تاريخ البشر (...). فقد كان إنشاء هذه الأمة وتنشئة مع إخراج الأمة المنقذة للإنسان"<sup>٤٥</sup>، والتي تقيم الحجة عليه؛ ولذا فقد عهد الله لهذه الأمة أن تحقق العدل بين الناس بسبب رسالتها العالمية

---

٤٣- سيد قطب: مواليد ١٩١٥م في مصر، كاتب ذو قلم، تحول في فكره وقلمه إلى الإسلام، ليصبح المفكر الإسلامي، والداعية الإسلامي الذي كلفته مواقفه في معارضة الحكم في بلده حتى حكم عليه بالاعدام شنقاً في الشهر الثامن من سنة ١٩٦٦م. له مؤلفات أشهرها: تفسيره في ظلال القرآن الكريم الذي ألفه في سجنه وقد ترجم إلى لغات كثيرة، والمستقبل لهذا الدين، أمريكا التي رأيت، التصوير الفني.

٤٤- انظر: قطب، سيد، (في ظلال القرآن)، الجزء الرابع (ط٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ=١٩٧١م، ص٣٢-٣٥، وقد اقتبس هذا التعبير ماجد عرسان الكيلاني، ليجعله عنواناً لكتابه، إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها، من منشورات كتاب الأمة رقم ٣٠، عدد صفر ١٤١٢هـ.

٤٥- قطب، سيد، في ظلال القرآن، الجزء الخامس، ص٤٠٨.

للناس ابتداءً من العرب؛ وهم أول من نزلت فيهم الرسالة وبلغتهم، فصاغتهم أفراداً مؤمنين، كعنصر من العناصر الرئيسة للأمة، وشكلت لهم هوية جديدة، وجنسية جديدة، وثقافة إيمانية جديدة هي الإسلام، وعرضتهم لهجرة نفسية وفكرية وقيمية من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الشرك إلى التوحيد، ولهجرة مكانية من مكة إلى المدينة لإقامة دولة مسلمة تربي على مفهوم الأمة في إطار أوسع من أهل مكة، ولتحمل الأمة الجديدة المكونة من المهاجرين والأنصار الرسالة للبشرية، عبر جهاد الكلمة، ونشر الدعوة، وجهاد القتال، وعبر القيام بالتربية الرسالية، على الإيمان بالله، والولاء لله ولرسوله ولدينه، والانتماء لأمة الإسلام، حتى كان الحكم على الخارج على الانتماء للأمة وعلى الناكث لموالاها مشاهياً في الصورة بالحكم بقتله للخارج عن الإيمان إلى الكفر، وللمرتد عن الإسلام. قال تعالى:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات ٩].

نعم "جاء الإسلام فأعطى العرب عقيدة وولد عندهم شعوراً برسالة، وأدخل مفهوم الأمة المستندة إلى العقيدة. وفي المدينة رسم الرسول صلى الله عليه وسلم الخطوط الرئيسة لها، وجعل القرآن والسنة دستورهما. وبقيت القبائل وحدات اجتماعية، ولكن الولاء الفردي، والمسؤولية الشخصية كانت للأمة. وصار العدل والأمن والجهاد أهدافاً أساسية للأمة ولم تكن محدودة بمفهوم بشري أو أرضي، ولم يكن يحدها إلا نطاق انتشار الإسلام" ٤٦

٤٦- Documents la Diplomatie Musulmane, P.19 off, Serjeant-Sunna Jamlan.

انظر حميد الله، الوثائق السياسية (١٩٤١) ص ١، وما بعدها، نقلاً عن: BosoAXL 1Pt, 1978. المحاضرة الثامنة انظر الدوري عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية، (ط ١) منشورات جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ص ١٦٤

وإنني وإن كنت أتفق مع الكيلاني في أن مفهوم الأمة كمصطلح متكامل ورد في القرآن الكريم ليدل على الأمة المسلمة إذ يتضمّن العناصر الأربعة<sup>٤٧</sup>، العنصر البشري، والعنصر الفكري، والعنصر الاجتماعي، والعنصر الزممي إلا أنني أفسّره هنا بالزمان غير المحدد، لأن الرسالة هنا عالمية وخاتمة، فزمانها ممتد إلى قيام الساعة، وإن الأمة تتدرج في نشأتها، ونموها كتدرج الجسد الإنساني، فكذلك الأمة تبدأ فرداً واحداً ثم تصبح مجموعة صغيرة، ثم قوماً، ثم شعباً، حتى تنتهي بالدائرة الإنسانية كلها، وإن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي الأمة المسلمة هي التي انتهت إلى هذه الدائرة الإنسانية كلها، إذ حملت الدعوة إلى الخير كله، إلى الناس جميعاً، فهي تأمر بالمعروف بمعناها الواسع وتشيعه، وتنهى عن المنكر الواسع وتحاربه.

وهي الأمة التي لا ينال من وحدتها تنوع الشعوب والقبائل ولا اختلاف الألوان والأوطان؛ واللغات؛ ما دامت لا تخرج عن وظيفتها العالمية، وما دامت ولاءات أفرادها وشعوبها تدور في فلك الرسالة وحدها، ولا تدور في فلك الأشخاص والمصالح، والأشياء، ولا في فلك العرقيات والقوميات، ولا في فلك شيء سوى الإسلام، وما دامت تقوم بواجباتها، بالولاء لله ورسوله، والانتماء للأمة ودينها، والانحياز لمصلحة هذه الأمة وبقائها وسعادتها ورسالتها، وذلك مهما تنوعت شعوبها، وتنوعت أدواتها، وأشكال تنظيماتها وإدارياتها؛ إذ أن ذلك التنوع لا يتعارض مع وحدة المنطلق ووحدة الدين والاعتقاد، ووحدة التشريع والنظام، ووحدة القيم والسلوك، ووحدة الأهداف والغايات، ولا ينال من وحدة الرسالة وفعالية الوظيفة؛ فالتنوع هنا جمال في الأداء مع الوحدة في العقيدة والعبادة والأهداف.

وأنا مع الكيلاني كذلك في أن استمرار هذه الأمة مفهوماً وواقعاً مرهون باستمرار أداء الوظيفة وحمل الرسالة، ولكنني لا أتفق معه في أنه إذا ضعفت عن حمل

٤٧- انظر: الكيلاني، ماجد، إخراج الأمة المسلمة، ص ٢٠-٢٢ بتصرف.



الرسالة أو توقفت فاعليتها أو تقلصت تطبيقاتها انتهى وجود الأمة، مستنداً - جزاه الله خيراً - في رأيه وتأكيد فهمه <sup>٤٨</sup> إلى ما أثر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في شرح آية ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران ١١٠]، أنها تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا، وإن قال: يا أيها الناس من سرّه أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها، وفهمه لرأي ابن عباس في تفسيرها بقوله: هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة <sup>٤٩</sup>، وقال عكرمة: نزلت في ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل <sup>٥٠</sup>.

ذلك أن الرواية الصحيحة في تفسير قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ عن أبي هريرة بلفظ: "قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام" <sup>٥١</sup> فلفظ أمة مؤول على أنه اسم جنس للناس، وهو ما فهمه أبو هريرة من الآية يؤيد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس <sup>٥٢</sup>، وقوله "كنتم للناس خير الناس" <sup>٥٣</sup>.

٤٨ - المرجع نفسه والصفحة.

٤٩ - انظر الطبري، جامع البيان، الجزء الرابع ص ٤٣-٤٤، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الرابع ص ١٧٠-١٧١، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المشهور بتفسير ابن عطية، تحقيق عبد الله الأنصاري وزميله، المجلد الثالث، (ط ١)، مؤسسة دار العلوم، نشر رئاسة المحاكم الإسلامية، قطر، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م، ص ٢٦٤.

٥٠ - ابن عطية، الجزء الثالث، ص ٢٦٣.

٥١ - البخاري، صحيح البخاري شرح فتح الباري، الجزء الثامن، كتاب التفسير باب كنتم خير أمة أخرجت للناس، رقم الحديث ٤٥٥٧ ص ٢٢٤، انظر ابن عطية، المحرر الوجيز، الجزء الثالث، ص ٢٥٦.

٥٢ - انظر ابن عطية، الجزء الثالث، ص ٢٦٤.

٥٣ - المرجع السابق، ص ٢٦٥، وعلق محقق الكتاب بقوله: والحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال: "خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل" انظر فتح القدير للشوكاني، ١/٣٤٠.



وقول النبي صلى الله عليه وسلم صريح. وعلق ابن عطية<sup>٥٤</sup> فقال: "و لم يبعث نبي إلى الأمة كافة إلا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهو وأمته يدعون إلى الإيمان ويقاتلون العالم عليه، فهم خير الناس للناس"<sup>٥٥</sup>.

وقول أبو هريرة رضي الله عنه تأتون بهم في السلاسل لا يعني إكراههم على دخول الإسلام، لأن الله تعالى يقول: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ<sup>٥٦</sup> فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة ٢٥٦﴾ ويقول: ﴿أَفَأَنْتُمْ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٩٩]، وإنما المقصود به أن هذه الأمة خير الناس لأنها تقاتل في سبيل الله من أجل دخول الناس الإسلام وهو لهم خير، والقتال يستدعي إذا تغلب المسلمون على الكفار المقاتلين قيدوهم بالسلاسل أسرى ثم بعد ذلك يدعونهم إلى الإسلام، والمقاتل والمحارب للإسلام ليس أمامه إلا أن يدخل الإسلام وهو خير له، وشرع الإسلام للمسلمين ان يعفوا عنه بالمن والفداء في قوله تعالى: ﴿فَأِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد ٤]. وهذا المعنى هو الذي يناسب قول أبي هريرة رضي الله عنه.

٥٤- ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب المحاربي الأندلسي (٤٨١-٥٤١هـ)؛ نسب إلى غرناطة من شيوخه والده عالم في التفسير والكلام والحديث والشعر والأدب والأنساب، وكان له أثر في ولده. تكلم ابن عطية عن شيوخه في كتابه الفهرس، ومن تلاميذه الفيلسوف ابن طفيل (ت ٥٨١هـ)، والإمام المالكي المرسى صاحب كتاب نتائج الأفكار ومناهج النظر في معاني الآثار. ومن كتبه التفسير المحرر الوجيز، وله كتب أخرى لم تصل إلينا. انظر كشف الظنون، ج ٢، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م ص ١٦١٣ وانظر، كردي، عبد الحميد راجح، مسائل الاعتقاد عند ابن عطية، (ط ١)، دار المأمون، عمان، ٢٠٠٩م ص ١٧-٣٨.

٥٥- ابن عطية، ٢٦٥/٣.

أما قول عمر رضي الله عنه فهو يعني الشعور بنعمة الله عليه وعلى جيل الصحابة أنهم أول من قام بهذا الواجب، وأنه يحذر من أن يأتي آخرون لا يفعلون مثل فعلهم من دعوة الناس، وإدخالهم الإسلام، ثم يزعمون بمجرد كونهم مسلمين أنهم خير أمة، ولذلك قال كلامه المكمل والمحقق لما أفهمه منه: "من سرّه أن يكون من تلك الأمة فليؤدّ شرط الله فيها"<sup>٥٦</sup>، وهو الأمر المعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، كما لا يمكن للصحابة وهم خير جيل فهم القرآن أن يقصروا نص القرآن في خطاب عام على أنفسهم ويذهبوا إلى تخصيصه بهم، دون نص في التخصيص، ودون وجه يحتمله النص؛ فنصوص القرآن في الخطاب عامة، والتخصيص استثناء يحتاج إلى دليل، فكيف يفهم من كلام عمر أنه يُغلق النص؟! فالاتجاه العام في تفسير آيات الكتاب العزيز أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في النص الذي كان له سبب فكيف بالنص العام الذي لا سبب له، فتخصيصه بحاجة إلى دليل ولا دليل على التخصيص فمثل هذا النص لا يقال في تفسيره إلا أنه يعم المسلمين الذين يؤدون شروط الله في هذه الجزئية ولهذا لا يفهم كلامه إلا بمتابعة قوله: من سرّه أن يكون من تلك الأمة فليؤدّ شرطها، فتح النص على عمومه.

وأما استناده إلى رأي ابن عباس في قوله: الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، بإغلاق النص وتخصيصه بالمهاجرين، ففهم غريب!؛ إذ يحرم الأنصار أن يكونوا من خير أمة، ولا يملك منصف أن يزعم هذا؛ فتوجيه كلام ابن عباس هو إشارة لمن بدأ هذه الوظيفة، وضحي من أجلها، وهم المهاجرون، وليس في نص القرآن، ولا في كلام أبي هريرة ما يمنع دخول غيرهم.

---

٥٦- انظر الطبري، ٤/٤٤، والقرطبي، ٤/١٧١.

بل في قول عمر فيما ذكر ابن عطية ما يشير صراحة إلى خلاف ما فهم ماجد الكيلاني<sup>٥٧</sup> من الوقوف عند فهم كلام عمر الذي ساقه. "وكلام عكرمة أنها في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد من شاكلهم فهذا كله قول واحد مقتضاه أن الآية نزلت في الصحابة قيل له: م كنتم خير أمة، فالإشارة بقوله (أمة) إلى أمة محمد معينة فإن هؤلاء خيرها"<sup>٥٨</sup>

وثبت عن الحسن بن أبي الحسن وجماعة من أهل العلم في معنى الآية كُنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ ﴿١﴾ أنها خطاب للأمة؛ لأنها أخرجت الناس في كل زمان ومكان شهداء على الناس مستندين إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله، وفي لفظ: أنتم أفخرها وأكرمها على الله عز وجل"

٥٧- د. ماجد عرسان رباع الكيلاني: من مواليد بلدة الشجرة في اربعينيات القرن الماضي في شمال الأردن عمل مدرساً في كبرى مدارس نابلس في فلسطين والأردن والجامعات السعودية وأكمل دراسته في الماجستير والدكتوراه في الجامعة الأمريكية في بيروت وأمريكا وهو شخصية تربوية واستاذ جامعي ومفكر اسلامي معاصر متخصص في التاريخ الإسلامي ومن أهم كتبه: هكذا ظهر جيل صلاح الدين.

٥٨- انظر: ابن عطية، ٢٦٤/٣.

٥٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي، الجزء الخامس، (ط ١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م، ص ٧، رقم الحديث ٢٠٠٧١. ابن ماجه: "نكمل يوم القيامة، سبعين أمة نحن آخرها وخيرها"، "إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله"، سنن ابن ماجه، توزيع مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٤٣٣/٢، حديث رقم ٤٢٨٧، ٤٢٨٨، كتاب الزهد، حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون طبعة. سنن الدارمي، "إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله"، تحقيق مصطفى ديب البغا، ٧٦٩/٢، كتاب الرقاق، باب ٤٧، رقم الحديث، ٢٦٥٨، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢هـ= ١٩٩١م. الترمذي: يقول في قوله "كنتم خير أمة أخرجت للناس"، قال إنكم تقيمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله. قال الترمذي: هذا حديث حسن. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق وتعليق، إبراهيم عطية عوض، ٢٢٦/٥، كتاب تفسير القرآن، رقم الحديث ٣٠٠١. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ١، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م.

وقال ابن عطية: "هذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظّه منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" <sup>٦٠</sup>

ويقول الرازي في تفسير الآية بأنها: "خطاب لجميع الأمة أولها وآخرها، ومن كان منهم موجوداً وقت نزول هذه الآية، ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة (...)" لأنه تعالى: لما جعلهم شهداء على الناس، فلو اعتبرنا أول الأمة وآخرها بمجموعها في كونها حجة على غيرها لزالّت الفائدة، إذ لم يبق بعد انقضائها من أن تكون الأمة حجة عليه، فعلمنا أن المراد به أهل كل عصر، ويجوز تسمية أهل العصر الواحد بالأمة، فإن الأمة اسم للجماعة التي تؤم جهة واحدة، ولا شك أن أهل كل عصر كذلك، ولأنّه تعالى قال: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة ١٤٣]. فعبر عنهم بلفظ النكرة، ولا شك أن هذا يتناول أهل كل عصر" <sup>٦١</sup>.

ذلك بأنه استدل بأن معنى الوسط في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، هو الخيرية، ليدل على أن هذه الأمة خير الأمم بوظيفتها في الشهادة على الناس، والأمة خير أمة أخرجت للناس، إذن هي الوسط الشاهدة على الناس وهي خير الناس، "إذ أن الوسط من كل شيء خياره وهذا التفسير أولى (...)" لأنه مطابق لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ <sup>٦٢</sup>.

إذن فمعنى الوسط هو الخيرية، وفي كلا الموضعين (على الناس، وللناس) والناس هم الناس كافة طبقاً لمفهوم عالمية الرسالة، وعالمية وظيفة الأمة الضامنة لعالمية بقاء الرسالة الخالدة.

٦٠- ابن عطية، ٢٦٦/٣.

٦١- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، الجزء الرابع، (ط ١)، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة، (د، ت) ص ١١٢

٦٢- اعس ته، ١٠٩/٤.

ويعلل ابن حجر في شرحه لكتاب التفسير في البخاري لمن فهم الآية على عمومها لا على خصوصها أنه فسرها بأنكم كنتم في اللوح المحفوظ أو في علم الله تعالى<sup>٦٣</sup>.

وقيل: كنتم خير أمة منذ آمنتم، كما قيل: كنتم خير أمة لتقدم البشارة بالني وأمته عند من تقدمكم من أهل الكتاب، وقال الأخفش: يريد خير أهل دين<sup>٦٤</sup>. والعبارة الدقيقة للأخفش أنه قال: "يريد أهل أمة، لأن الأمة الطريقة"<sup>٦٥</sup>

ولماذا لا تكون (كان) هنا التامة لا الناقصة، أو بمعنى وجدتم خير أمة، ويكون إعراب (خير): حالاً لها، لا خبراً. وهذا يؤكد معنى الإخراج لهذه الأمة، والانتقاء لها لتكون بوجودها مؤدية غرض الشهادة على الخلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، فهي لهذا وجدت. وكأن الله تعالى: يقول لهم أنتم خير أمة وجدتم، والتعبير بالماضي ليدل على الدوام<sup>٦٦</sup> بكونها خير أمة.

كما أن الله سبحانه أفهمنا من خلال كون رسوله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وكون نبوته خاتمة النبوات، فهي خالدة وعامة للناس، وأنه بالتالي لا يضيّع شهادته على الخلق، ومن عدله أنه يبقى أمته تقيم الحجة على الناس؛ إذ لا تنقطع الحجة، وستظل قائمة في مختلف أحوال الأمة قوة وضعفاً، كثرة وقلة.

---

٦٣- انظر ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (٧٧٣-٨٥٢هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج محب الدين الخطيب، الجزء الثامن، (د.ط) المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ص ٢٥، وانظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢٦٦/٣.

٦٤- انظر: القرطبي، ١٧٠/٤.

٦٥- الأخفش ص ٢١٢

٦٦- انظر: ابن عطية، ٢٦٦/٣



وهذا ما نفهمه من الأحاديث الصحيحة، المبينة لاستمرارية قيام الأمة بوظيفتها، وخيرية من يقوم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله والشهادة على الناس. ومن ذلك قوله فيما صح عنه عليه الصلاة والسلام، فيما يقول معاوية رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"

وفي رواية أخرى عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله وفي رواية ثالثة عن معاوية أيضاً بلفظ: "من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ولا تزال عصاة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم إلى يوم القيامة".<sup>٦٩</sup>

وهذا المفهوم القائل بأن الأمة ممتدة هو الذي يضمن امتداد عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو الذي يسهم في ضمانات عالميتها. بل إن التقدم الذي يتحدث عنه الكيلاني في الملاحظة الثامنة لديه القائلة بأن "سعة دائرة الأمة يحددها مدى التواصل والاتصال الذي تحدده تكنولوجيا العصر..." حتى إذا وقف على عتبة ركوب

٦٧- البخاري، نسخة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، الجزء الاول، المطبعة السلفية، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ص ١٦٤.

٦٨- صحيح البخاري شرح فتح الباري، الجزء الثالث عشر، كتاب الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة، رقم الحديث ٧٣١٢، ص ٢٩٣.

٦٩- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، (ط ١) دار ابن حزم، بيروت، ودار الصميعي، الرياض، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م، كتاب الإمارة، باب ٥٣، رقم ١٧٥ ص ١٢١٠.

الفضاء والتواصل بالتلكس والتلفون والفاكس، رسمت الرسالة الإسلامية للأمة دائرة تتسع للإنسانية كلها" ٧٠.

هذا التقدم هو الذي يساعد على نقل عالمية الإسلام للعالم كله، ويسهل على الأمة القيام بوظيفتها مهمتها.

### المبحث الثالث: خصوصيات الأمة المسلمة:

خصوصيات الأمة المسلمة كثيرة جداً، لأن خصوصياتها من خصوصيات نبيها الخاتم للأنبياء، ورسالتها العالمية الخالدة، وتميزها عن الأمم السابقة التي كانت لا تعدو أن تكون أمم عبادة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقوم به داخل وسطها، بينما هذه الأمة وظيفتها الدعوة إلى الله والإيمان والعبادة والخلق والاستقامة والعدل تصقل شخصيتها لإرضاء ربها، وتأهيلها للقيام بوظيفتها شاهدة على الناس. ولقد اختص الله هذه الأمة بالتيسير عليها في شريعتها وأحكامها قال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥] واختصها بالقبلة وبالجمعة والتأمين خلف الإمام، واختصها بالإسناد والرواية كي تحفظ وحي ربها من كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرته. ولقد اختصها بالقيام بالعدل بين الناس وحفظ أمن الإنسان وكرامته، وبأن دور علمائها كبير في البيان، وبأنه لا يصيبها بالخسف والهلاك، لأن لها دوراً أساسياً في الشهادة على الخلق وإقامة الحجة على الناس.

ولكننا هنا في هذا البحث لا نريد التوسع في بيان هذه الخصائص وغيرها، لأن غرضنا الخصوصيات المتعلقة بتكوين الأمة ووظيفتها العالمية، مما يجعلنا نقتصر على ما يلي حاجة البحث.

وبناء على هذا المفهوم المميز للأمة المسلمة، تظهر خصوصياتها على سائر الأمم،

تبعاً للرسالة التي تتميز بحملها، وأهم هذه الخصوصيات المتعلقة بهذا المفهوم التكويني والرسالي للأمة ما يأتي:

### المطلب الأول: خصوصية عالمية الأمة المسلمة:

#### ١ - عالمية التكوين:

ونعني بخصوصية عالميتها من حيث تكوينها البشري أنها تضم كل شعوب الأرض، وهذا يعني عالمية تكوينها البشري، وبعدها عن المفاهيم الجزئية للإنسان، من عرقية وقُطرية. فمؤمنها من كل الأجناس البشرية، ومكانها الأرض كلها بكل أقطارها، وهي بهذا من حيث تكوينها تحقق وحدة الفطرة الإنسانية التي مزقتها الشعوب والقوميات والألوان، وأصحاب الأهواء والمتاجرون بالأديان، مع أنها لا تقاوم الفطرة في انتماء الإنسان إلى قومه وشعبه وبلده وجنسه، ولكنها تتجاوز هذا كله لتجعل معيارها الأكبر معيار الإيمان، وغايتها الكبرى رسالة الإسلام، وتحقيق الإصلاح الإنساني، ولا تجعل الترابط الفطري بين الأهل والأقارب والأوطان بديلاً عما يوحد الفطرة الإنسانية في نظرة أوسع من تلك الدوائر، بل وتنقل الإنسان إلى دائرة هو يصنعها باعتقاده وعمله وكسبه وهي الدين والتقوى<sup>٧١</sup>.

أي أن هذه الأمة "تتكون بفعل إرادي قائم على العقل والإرادة الحرة المختارة، ولا يبرز وجودها إلا حسب ميثاق يتم بين الله عز وجل وعباده على شعور منهم، ويعترف العباد بهذا الميثاق بأن الله هو حاكمهم وأن هداه هو الدستور، وأحكامه هي القانون لحياقتهم، وأنه لن يكون الخير عندهم إلا ما يرشدتهم إليه، ولا الشر إلا ما ينهائهم عنه"<sup>٧٢</sup>.

٧١- انظر: الدريني، فتحي، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، الجزء الثاني، (ط ١)، دار قتيبة، بيروت، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م، ص ٦٠٣-٦٠٤.

٧٢- المودودي، أبو الأعلى، نظرية الإسلام وهديه، ٣٥. رسالة القانون الإسلامي وطرق تنفيذه (ترجمة محمد عاصم الحداد)، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م، ص ١٥٢.

## ٢ - عالمية هوية الأمة المسلمة:

ومن هنا تتحدد ملامح هوية المسلم في هذه الأمة؛ فجنسيته هي عقيدته أو دينه، أو رسالته. كما يتحدد مفهوم مواطنته الصالحة فالكون كله وطنه، وليس مجرد الوطن الواحد الذي يعيش فيه، ويرتقي من ذلك الوطن إلى "رتبة المشاركة في الصلة الواحدة، أو في الاصطلاح، رتبة المؤاخاة"<sup>٧٣</sup>. المؤاخاة الإيمانية على طريق دفع ضريبة الجهاد من أجل إدخال الناس جميعاً في هذا الدين، ليكون الناس فيه إخواناً متحابين وليسوا أعداءً، الذي يقابل مواطنة المؤاخاة عداوة الكفر، كما بين الله تعالى ذلك بقوله: <sup>ع</sup> **وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴿[آل عمران ١٠٣] وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال ٦٣].

هذه العالمية هي التي تحدد مفاهيم صناعة هوية الأمة المسلمة ابتداءً من تربية المسلم في الأمة المسلمة عليها منذ نعومة أظفاره عقدياً وعبادياً وخلقياً، لتتضح لديه مفاهيم العالمية لدينه، ولتشعره بعالمية شخصيته وإنسانية مهمته، فيعيش هذه العالمية بلسان مقاله ولسان حاله، مسلماً عالمي الهدف، وإنساني النظرة، وإيماني المنطلق، وسلامي المجتمع، وسلامي العلاقة مع نفسه، ومع المؤمنين، ومع الإنسان في الأرض؛ طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت ٣٣]، وقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي <sup>ط</sup> وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف ١٠٨].

٧٣- عبد الرحمن، طه، روح الحداثة، (ط ١) المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٩.

وفي هذا الإطار التربوي تعبر فكرة التفاهم لديه في حلقات، بمعنى أن يمر المسلم ثلاث حلقات للتفاهم، يتفاهم مع نفسه أولاً، ثم مع إسلامه، وبعد أن يتفاهم مع نفسه ويتفهم إسلامه يعود ليتفاهم مع غير المسلم" <sup>٧٤</sup>

### ٣ - عالمية تربيتها:

وأكرر القول: إن تربية المسلم ضرورية في هذه الأمة ليقوم على أداء الشهادة خلال وظيفة الأمة التي تحمل مهمة البلاغ والتبليغ للناس، وهي الأمانة التي كلفها الله بها. ولهذا فإن المسلم يُربى في هذه الأمة على أن "يؤدي هذه الشهادة أولاً في ذات نفسه، بأن يطابق بين واقع حياته الشخصية في كل جزء من جزئيات نشاطه، وبين مقتضيات التصور الذي يقوم عليه اعتقاده. فليست حركة واحدة من حركات حياته إلا وهو مطالب بأن يشهد فيها لهذا الدين شهادة عملية، لا شهادة اللسان وحده، ولا شهادة القلب معه كذلك -[فحسب] <sup>٧٥</sup>، ولكن شهادة العمل المصدق للإيمان المُجسّم للعيان، المنشئ لآثاره في عالم الواقع، وفي دنيا الناس. وهو يؤديها ثانية في دعوة الآخرين إلى هذا النهج وبيانه لهم، مسبقاً في هذه الدعوة وهذا البيان بدوافع كثيرة"

ولكن ما هذه الدوافع التي تجعله يؤدي هذه الشهادة ؟

إنها أولاً: دافع رضوان الله بدخول الجنة والنجاة من النار.

وثانياً: دافع حب الخير للناس وحب هدايتهم إلى هذا الخير الذي هداه الله له طبقاً لأداء الواجب الإنساني عليه.

٧٤- البكري، خميس، رشدي فكار في حوار متواصل حول قضايا تراث المسلمين، (ط١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ص١٥٩.

٧٥- إضافة من الباحث ليستقيم النص.

٧٦- قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، بيروت، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص١٨٦-١٨٧.



وثالثاً: دافع شعوره بالخوف من الله إذا ضل الناس وهو المكلف بناء على عالمية هدف الرسالة ذلك أن تبعة ضلالهم تقع على عاتقه إن قصر في واجب البيان والتبليغ بعدما عرف وتبين الحق. وهي تبعة ثقيلة لأنها تبعات الأنبياء والرسل، وتبعة خاتمهم ووارث تبعاتهم محمد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم والمسلم هو المكلف مع أمته بحمل هذه الأمانة شريكاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يؤديها أخيراً بدافع العمل على تحقيق منهج الله في الأرض، وفي حياة الناس، ولإقامة نظام الحق والعدل في حياة الجماعة الإنسانية كلها. وبهذا كله يكون المسلم على قدر خطاب التكليف الرباني "وعلى مستوى المهمة التي يتطلبها إسلامه وعصره على حد سواء" <sup>٧٨</sup>

وقد يكلفه هذا التبليغ حياته شهيداً في سبيل الله، سواء في داخل مؤسسة الأمة كما في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" <sup>٧٩</sup>. أو في جهاده وقاتله لأعداء الله الذين يقفون بسلاحهم في وجه كلمة البيان والبلاغ، دفعاً للفتنة، وليكون الدين في الأرض كلها لله كما في قوله تعالى:

---

٧٧- انظر: الكيلاني، إبراهيم زيد، خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، (ط١)، من منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠٠٤هـ، ص ٧١، ٩٤-٩٥.

٧٨- حسنة، عمر عبيد، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، كتاب الأمة، (ط١)، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ١٤٠٥هـ، ص ٨٠.

٧٩- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الجزء الثالث (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ=١٩٩٠م، كتاب معرفة الصحابة، رقم الحديث ٤٨٨٤/٤٨٢ ص ٢١٥ وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورده الذهبي في التلخيص. وأورده محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، المجلد الأول، رقم الحديث ٣٧٤. ص ٦٤٨-٦٥٠ وبعد مناقشة طرق الحديث قال في إحدى ترجماته: هذه ترجمة هامة وبالوقوف عليها اطمأن القلب لثبوت الحديث فاقتضى إirاده في هذه السلسلة.

﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾  
[البقرة ١٩٣].

بل جعل الله حياة الدين بقتلهم واستشهادهم حياة مميزة لهم وهي حياة الشهداء،  
كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ  
وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة ١٥٤]. وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ أَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران ١٦٩].

#### المطلب الثاني: خصوصية عالمية الأمة المسلمة في وراثتها الرسالات الإلهية:

وهذا الواجب الذي تلقته الأمة وورثته هو الواجب الذي يميز الأمة المسلمة عن  
غيرها من الأمم السابقة التي كانت مع أنبياء الله ورسله، حيث كان دور الذين آمنوا من  
أهل الكتاب في الرسالات السابقة العبادة، وكانت خدمة المؤمنين في الرسالات محدودة  
جداً، إذ كان الجهد الأكبر، والتبعة الكبرى تقع على عاتق الأنبياء والرسل أنفسهم، طبقاً  
لمفهوم خصوصية تلك الرسالات السابقة قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

ويلاحظ ذلك واضحاً في رسالة موسى عليه السلام عندما استنفر بني إسرائيل  
للدخول إلى الأرض المقدسة، واستشارهمهم إلى ذلك بما يقود إلى النفع والاستقرار لكنهم  
تقاعسوا، وطلبوا من موسى أن يقوم بهذه المهمة هو وربه، وهم في الانتظار<sup>٨٠</sup>. حيث قال

٨٠- انظر، الخولي، جمعة، تاريخ الدعوة، الجزء الثاني، (ط٢) دار الطباعة المحمدية، القاهرة،

سبحانه في وصف مواقفهم تلك: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ آذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ آذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَنْمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا آذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴿٢٣﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَنْمُوسَىٰ إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة ٢٠-٢٤].

بينما جعل الله تبعة الرسالة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثقيلة، وواجبة في أعناق المسلمين، كما أشركهم طبقاً لمفهوم عالمية الرسالة في الشهادة على الخلق مع رسولهم، وأمرهم بالجهاد من أجل هذه الغاية، وبأدائها تثبت إسلاميتهم كما في تسمية إبراهيم عليه السلام لهم من قبل، والآيات الكريمة تشهد بهذه المعاني حيث يقول سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة ١٤٣].

ويقول تعالى: ﴿يَتَائِبَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٩﴾ [الحج ٧٧-٧٨].

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان مستشعراً لعظم هذه التبعة وثقلها حيث كان يبكي عندما يتلى عليه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء ٤١]. روى ذلك الطبري في تفسيره بسنده قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى عليها فاضت عيناه<sup>٨١</sup>. وفي رواية المسعودي - وهو تابعي ثقة - عن القاسم أنه "قرأ ابن مسعود النساء حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء ٤١) قال: استعبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكف ابن مسعود<sup>٨٢</sup>"

ويصور القرآن استشعار رسول الله صلى الله عليه وسلم لثقل هذه المهمة أيضاً<sup>٨٣</sup> بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ تُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِداً﴾ [الجن ٢٢]، وقوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٤﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولًا رَيْبَ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ [الجن ٢٦-٢٨].

٨١- الطبري، ٣٦٩/٨

٨٢- المصدر نفسه والجزء، ص ٣٧٠

٨٣- انظر، قطب، في ظلال القرآن، ٥٩٩/٦



وبناء على هذه العالمية لدور الأمة في الأرض، أصبح الناس في الأرض بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام فريقين؛ المؤمنون: وهو أمة الأتباع. وغير المؤمنين: وهو أمة الدعوة باصطلاح الإمام الرازي، أو أمة الإعلام وأمة الدعوة باصطلاح عمر عبيد حسنة<sup>٨٤</sup>، أو أمة الاستجابة وهو المؤمنون أي الأمة الداعية التي استجابت وحملت الإسلام للناس أي الأمم التي تصل دعوة الإسلام لتعلن موقفها منها.

فالأمة بعالميتها رسالية في تكوينها لأن رسالتها التي تحملها عالمية، فهي للناس كافة، وآيات كثيرة في القرآن الكريم تحدد ملامح هذه العالمية وتركز عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧] وهي بالتالي الوارثة لكل مفاهيم الأمم الدينية السابقة، التي كانت تقوم على ديانة القوم أو الرسائل الخاصة بالشعوب. إبراهيم عليه السلام يؤكد مفهوم عالمية رسالة الأمة المسلمة في وراثتها للرسالات وانحصاره فيها:

ولقد أشار إبراهيم عليه الصلاة والسلام -وهو الذي جمع الله فيه مفهوم الأمة فجعله إماماً للناس- إلى دور هذه الأمة في دعائه لربه مع ولده إسماعيل جد محمد صاحب الرسالة العالمية:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة ١٢٤-١٢٥].



وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا<sup>ط</sup>  
 إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً  
 مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ  
 فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ<sup>ط</sup> إِنَّكَ  
 أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ  
 وَلَقَدْ صَطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ  
 رَبُّهُ أَسْلِمْ<sup>ط</sup> قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة ١٢٧-١٣١]. حصر مفهوم  
 العالمية في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء والرسل:

فكانت انطلاقة مفهوم الأمة العالمية بدعاء إبراهيم عليه السلام، واختصاص  
 إسماعيل برفع القواعد معه والدعاء المشترك منهما هو المبعث بأمة الرسالة العالمية؛  
 ولست مع ما ذهب إليه ماجد الكيلاني من أن الانطلاقة الأولى لإخراج أمة الرسالة كانت  
 برسالة موسى عليه السلام<sup>٨٥</sup>. وذلك لأن موسى مسبوق بأنبياء ورسول كثيرين من قبله  
 من نسل إبراهيم، وهم أولى بهذا المفهوم لأنهم أسبق من موسى عليه السلام لو صحَّ  
 تحليله ذلك ونسبته إلى بني إسرائيل!!

ولذلك لم يشرك إبراهيم عليه السلام ولده اسحق وهو والد يعقوب أو إسرائيل  
 عليهما السلام في رفع قواعد البيت، ولا في الدعاء لإخراج الأمة المسلمة، ولبعث  
 الرسول من عقبه، بل جعل ذلك الدور لإسماعيل جد محمد صلى الله عليه وسلم.

وليس دقيقاً ما ذهب إليه ماجد الكيلاني من أن قوم موسى خرجوا عن هذا المفهوم للأمة العالمية بسبب الثقافة الفرعونية التي أثرت فيهم، ولا كذلك ما ذهب إليه من أن عيسى جاء لإصلاح ما أصاب نواة الأمة الوليدة لإخراجها من مفهوم القوم إلى مفهوم عالمية أمة الرسالة<sup>٨٦</sup>، فاختار نفرأ من الحوارين ليدعوا إلى مفهوم العالمية، وذلك لأنه ثبت من دداسة تاريخ تلك الرسائل أنها كانت موجّهة إلى بني إسرائيل في نصوص كتبهم، وفي نصوص القرآن؛ وأنها ليست موجّهة إلى الشعوب الأخرى في الأساس. فدعوة موسى لفرعون إنما كانت لإخراج بني إسرائيل مع موسى مما هم فيه من الاضطهاد لدى الفراعنة بالدرجة الأولى، وإن كان هذا لم يكن مانعاً من إيمان أفراد كإيمان رجل من آل فرعون كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: **وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ ابْنَ الْأَمْلَاءِ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ** [القصص ٢٠]، أما تعميم الديانة المسيحية فلم يكن بسبب عالميتها، ففي سورة الصف نص صريح على أن دعوة كل من موسى وعيسى عليهما السلام كانتا إلى بني إسرائيل في قوله تعالى **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَنْقُومِرِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** [الصف ٥]، وقال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعَنِ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** [الصف ٦]، واشتهرت عبارة المسيح كما في أناجيلهم حين سأله المرأة الكتانية أن يداوي ولدها، قال لها: إنما بعثت لأهدي خراف بني إسرائيل الضالة.

أما سبب تعميم الديانة المسيحية وانتشارها كان بفعل شاول أو بولس الطرسوسي اليهودي الفريسي الذي أدخل العقائد الوثنية الرومانية إلى ذلك الدين، ليقنع الوثنيين الرومان بدخول المسيحية، ولذلك أصبحت الدين الرسمي لتلك الدولة الرومانية.

ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى لمفهوم عالمية ما دعا إليه إبراهيم عليه السلام، وأن اليهود والنصارى لا يمثلون هذا المفهوم حيث قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران ٦٧].

وقد دعا إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام أن يكون بلداً آمناً يحج إليه الناس جميعاً فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ هَذِهِ النَّارِ وَيَتَّسِ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة ١٢٦]، كما جعل من الكعبة البيت الحرام قبلة للناس ووجهة حجهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة ١٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٩٧].

كما وجعل من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أن تدعو أهل الكتاب اليهود والنصارى إلى الانخراط في مفهوم الأمة المسلمة بمفهومها العالمي بعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة ١٣٥].

ثم إن التسمية بالمسلمين للأمة المسلمة إنما هي على لسان إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج ٧٨].

### المطلب الثالث: خصوصية الأمة المسلمة أن يحفظها الله من العذاب:

إن هذا المفهوم العالمي للأمة المسلمة جعل لها مزية ألا يهلكها الله عز وجل بعذاب، وألا يعجل لها بعذاب إن أصاب بعض أفرادها شيئاً من المعاصي، كما كان يحصل لأقوام الأنبياء السابقين، وللشعوب والأمم السابقة، لأن هذا يتناقض مع عالمية دورها وامتدادها ودعويتها الضرورية لامتداد الرسالة العالمية الخاتمة الخالدة العامة التي تحملها. وفي هذا المعنى يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر ٤].



ويقول: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس ١٣]، ويقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال ٣٣]، وذلك رداً على تبجح المشركين القائلين: ﴿وَإِذْ قَالُوا أَلَلَّهُمْ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال ٣٢].

وفي الحديث الشريف: "سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً"<sup>٨٧</sup>.

وقوله عليه الصلاة والسلام: "سألت ربي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة؛ سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"<sup>٨٨</sup>.

يقول ابن كثير فيما نقل عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: "من آمن بالله واليوم الآخر كتب الله له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف... ومن تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن

٨٧- صحيح مسلم، الجزء الرابع، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض رقم الحديث ٢٨٨٩ ص ١٧٧٤-١٧٥٤.

٨٨- المصدر نفسه، رقم الحديث ٢٨٩٠ ص ١٧٥٥.



لم يتبعه عوفي مما كان يتلى به سائر الأمم من الخسف والمسح والقذف" <sup>٨٩</sup>.

ولقد وضحت هذه الخصوصية من عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حتى لدى الغربيين، حاقدهم ومنصفهم، فلقد ألف السير توماس، وآرنولد كتاب الدعوة إلى الإسلام، جعله كله في دعوة الأمّة المسلمة لشعوب الأرض قاطبة، وصرّح في أكثر من موضع نصاً بعنوانين: الإسلام دين عالمي، ودين الرسالة <sup>٩٠</sup>.

وبالتالي فإن هذه العالمية تصنع للأمّة المسلمة مركزية في الكون، لأنها أمّة ذات هدف في الحياة، وذات رسالة كاملة في العالم، لأنها صاحبة الرسالة الدينية الأخيرة.

وهذه الرسالة هي التي تسيطر ويجب أن تسيطر على جميع مواقفها وتصرفاتها، فمركزها إذن مركز القيادة والتوجيه والحسبة في العالم" <sup>٩١</sup>.

---

٨٩- ابن كثير، تفسير ابن كثير، الجزء الثالث، (ط ١)، طبعة الحلبي، (د.ت) ص ٢٠٠.  
٩٠- آرنولد، السير توماس و، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، (ط ٣)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٣٥، ٤٨، ٥١، ٦٢، ٤٥٠.  
٩١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، (ط ٣)، دار القلم، الكويت، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م، ص ١٩٩-٢٠٠.

### المطلب الرابع: ديمومة الأمة المسلمة وعصمتها:

وبسبب موقع هذه الأمة في الكون ومركزيتها، وهي التي تحمل الإسلام ديناً عالمياً، جعلها الله تعالى: وارثة عهد الأنبياء والرسل السابقين، لأن رسولها عليه الصلاة والسلام هو النبي الخاتم الوارث لجميع الأنبياء والرسل، وهي بهذا تمتلك الضمانة الرئيسة المعيارية الخالدة الخاتمة.

كما أنها تملك التواصل الثقافي بين أجيالها متعاهدة وظيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الإسلام، مما يجعل لها خصوصية العصمة لعموم الأمة وليس للأفراد بأعيانهم بعدم اجتماعها على الضلالة والخطأ. هذه الميزة التي تُعدّ من "الضمانات النصّية والعملية على امتلاك القدرة على النهوض دائماً، والحيلولة دون الإصابات الموصلة إلى الوفاة، وإن كان ذلك لا يمنع عنها المرض والتوعك"<sup>٩٢</sup>، كما نرى في زماننا هذا.

وما ذلك إلا لأن الأمة القائمة على الحق لا يمكن أن تتوقف طبقاً لعالمية الرسالة، - خاتمها وعمومها وخلودها- لأن توقفها يصبّ مهمة البلاغ المبين وقضية التكليف نفسها؛ إذ كيف يمكن أن تتوقف الأمة القائمة على الحق التي تمتلك خطابها ومعياره بعد توقف نسخ الشرائع وهي الأمة التي تتحمل منهم النقل لتعاليم النبوة الخاتمة، والامتداد بها عبر الزمن إلى قيام الساعة.

ويشير الرازي إلى هذا المعنى من ضرورة الامتداد والديمومة في كل عصر من العصور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۚ

٩٢- الكيلاني، ماجد، النص من تقديم عمر عبيد حسنة لكتاب، المقدمة، ص ٩.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿البقرة ١٤٣﴾ إذ أن الخطاب إنما للأمة الممتدة عبر العصور منذ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، وقد عبر عن الأمة بالنكرة لتكون مهمتها ممتدة وتشمل كل العصور<sup>٩٣</sup>. الأدلة الشرعية على الديمومة والعصمة:

وأما الأدلة الشرعية على ديمومة هذه الأمة وعصمتها بسبب عالميتها المنبثقة من عالمية رسالتها فكثيرة نذكر منها:

١ - قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران ١١٠].

وتعبير للناس واضح فيه عالمية هذه الأمة، ومركزية دورها، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله. يقول ابن خلدون: "فإذا كان الإنسان أقرب إلى خلال الخير بحكم نظرته، كان أجدر بالسياسة، أي بقيادة الأمم، والقيام على أمرها بما يصلحها، إذ الخيرية هي الوصف المؤهل للقيادة، والمناسب للريادة"<sup>٩٤</sup>.

ويقول الأستاذ محمد رشيد رضا في تفسير المنار: "إن الله تعالى: قد وضع لنا بفضله ورحمته قاعدة نرجع إليها عند تفرق الأهواء واختلاف الآراء، وهي الاعتصام بحبله (...) ومن القواعد المسلمة: أنه لا تقوم لقوم قائمة إلا إذا كان لهم جامعة تضمهم، ووحدة تجمعهم، وتربط بعضهم ببعض، فيكونون بذلك أمة حيّة كأنها جسد واحد.. ولما كن لكل جامعة ولكل وحدة حفاظ يحفظها أرشدنا الله تعالى: إلى ما يحفظ به

٩٣- انظر هامش ٣٤

٩٤- ١ بن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المشهور بمقدمة ابن خلدون، (د.ط)، نشر عبد السلام شقرون، القاهرة، (د.ت) ص ١٠٠. وانظر الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ١/٤٠٧.

جامعتنا التي هي مناط وحدتنا فقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران ١٠٤]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظ الجامعة وسياج الوحدة" ٩٥.

٢ - ما وعد الله هذه الأمة من الاستخلاف في الأرض لتقوم بدورها العالمي بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور ٥٥]

وبما أن الإسلام عالمي جعل الله للأمة المسلمة السيادة على الأرض بالاستخلاف للقيام بوظيفتها في إقامة العدل في الأرض، والشهادة على الخلق، كما يقرر ذلك الدريني بقوله "لا سلطة دون تمكين" ٩٦.

٣ - مما اتفقت عليها الأحاديث الصحيحة هو هذا المعنى من الدعوية لهذه الأمة، من بقائها قائمة بوظيفتها، وظاهرة تدعو إلى الحق، ومنصورة به إلى قيام الساعة، ومن تلك الأحاديث:

٩٥- رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد عبده المسمى تفسير المنار، الجزء الرابع، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٢٢.

٩٦- الدريني، ١/٣٥٢، ٣٤٢.

\* عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله" ٩٧

\* وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"

وفي رواية ثالثة عنه: "... ولا تزال عصاة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم إلى يوم القيامة" ٩٩.

٤ - وفي عصمة الأمة بعمومها وعدم اجتماعها على ضلال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبداً"، وفي رواية: "إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة". والحديثان صحيحان؛ صحيحهما الحاكم في مستدركه، وغيره من الأئمة، ومنهم الألباني في صحيح الجامع ١٠٠

---

٩٧- صحيح البخاري بشرح فتح الباري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة، كتاب الاعتصام رقم الحديث ٧٣١٢.

٩٨- المصدر نفسه، الجزء الأول، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً، ص ١٦٤.

٩٩- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، الجزء الثالث، كتاب الامارة، باب قوله لا تزال طائفة من أمتي.. رقم ١٧٥ ص ١٢١٠

١٠٠- انظر تخريج هذين الحديثين في مستدرك الحاكم ١١٠/١. والبيهقي في الأسماء والصفات رقم ٧٠٢، من طريق عبد الرزاق، وفيه "يد الله على الجماعة" وأخرج آخره الترمذي من نفس الطريق في الجامع رقم ٢١٦٦، وقال حسن غريب. قلت -المحقق- : وإسناده صحيح وله شواهد كثيرة يتقوى بها منها حديث ابن عمر مرفوعاً: أخرجه الترمذي برقم ٨١٧، وابن أبي عاصم في السنة رقم ٨٠، والحاكم في المستدرك ١١٥-١١٦، وشواهد أخرى، وبقيّة التخريج بتفاصيله، انظر: محمد بن صالح العثيمين، منهاج أهل السنة في العقيدة والعمل، مسائل وأجوبتها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى بها أبو عبد الله النعمان الأثري، مكتبة الصحابة، الشارقة، ومكتبة التابعين، القاهرة، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، الأحاديث مع تخريجها ص ٦-٨.



وأنّوه هنا أن لا يفهم من كلامي عن عصمة الأمة أنّها لا تخلو من المعاصي، وأنّها معصومة من أن يقع بعض أفرادها في المعاصي، إذ لا عصمة بالمفهوم التشريعي والخلقي إلا للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولكن المقصود هنا بعصمة الأمة أن هذه الأمة لها مرجعيتها المعصومة التي تعود إليها وهما الكتاب والسنة حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيّه" ١٠١.

وهما مرجعان محفوظان للأمة تتعامل معهما، وترجع إليهما لتستمد دينها ورأيها.

ومن هنا فإن عصمة الأمة مجتمعة بحكم هذه العصمة لكتابها وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام، ويتمسكها بهما لا تجتمع على ضلال في حياتها وفي رأيها. كما يؤكد هذا المعنى من ديمومة الأمة المسلمة، وأنّها باقية لم تمت الأستاذ القرضاوي في كتاب له بعنوان: "الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم"، وأنّها فعلاً كذلك بكل المعايير. وساق أهم هذه المعايير من معيار منطق الدين وطبيعته وعالميته، ومنطق التاريخ حيث أثبت بقاء هذه الأمة رغم مؤامرات العالم ودول الكفر على إزاحتها ولكنها لم تفلح ولن تفلح، ومنطق الجغرافيا بامتداد هذه الأمة على ساحة الأرض وجغرافيتها بما يستعصي إفنائها، ومنطق الواقع، ومنطق المصلحة ومنطق الآخرين، واستدل لذلك كله بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ووقائع التاريخ، وحاجة البشرية إلى بقائها ودوامها ١٠٢. ويؤكد على هذا المعنى أيضاً الدوري بقوله: "وقد استمر مفهوم الأمة في

---

١٠١- موطأ مالك، باب النهي عن القول بالقدر، قال الألباني: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، أخرجه مالك مرسلاً والحاكم مسنداً وصححه، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٢/١٠١  
 ١٠٢- انظر، القرضاوي، يوسف، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، (ط١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، الكتاب كله في هذا المعنى.

التاريخ، فمع أن الخلافة أُحدثت بعد قيام الأمة فإنها تعرضت للانحدار، بينما بقيت الأمة تاريخياً الإطار العام للمسلمين" ١٠٣.

وبهذا فإن مفهوم بقاء الأمة وديمومتها ضماناً لعالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو ضمانة دائمة وقائمة مفهوماً واعتقاداً ومقوماً ومنهجاً، وواقعاً بغض النظر عن مستوى القوة التي تعيشه أو تملكه هذه الأمة.

#### الخاتمة

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فيما يلي:

- ١- المفهوم العام اللغوي والاصطلاحي لكلمة أمة من البشر ما كانت على أصل واحد أو مرجع واحد يجمعها، سواء أكان ذلك الجامع اشتراكها في قومية أو دين أو وطن أو مصالح مشتركة.
- ٢- عرض القرآن لمفاهيم متعددة لمصطلح أمة عبر تاريخ البشرية لتدل على مجموعة من المعاني التي تجمع البشر، من جماعة تؤم مقصداً واحداً من دين، سواء كان ذلك في الزمان أو المكان، أو من جمع متميز بجنس أو قوم أو شعب.
- ٣- ركز القرآن على مدح مفهوم الأمة الذي يدل على جماعة متميزة بمكوناتها الديني العقدي والفكري، وما ينشأ عن ذلك من تفاعلها الاجتماعي، بما يصنع لها وجوداً حضارياً، وميراثاً فيه سعادة الناس.

---

١٠٣- الدوري، عبد العزيز، المحاضرة الثامنة، دراسات إسلامية، (د.ط)، منشورات جامعة اليرموك، مركز الدراسات الإسلامية، إربد، الأردن، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣، ص ١٦٤.

- ٤- أعلى القرآن شأن الرسالة الخالدة في إخراج الأمة المسلمة المتميزة برسالة الإسلام العالمية الخالدة الخاتمة والمنبثقة من عقيدتها. وكوّن هذه الأمة تكويناً عقدياً، وجعل مفهوم الأمة المسلمة ضماناً من ضمانات عالمية الرسالة.
- ٥- ربط الإسلام بين مفهوم الأمة المسلمة وخيريتها بسبب رسالتها.
- ٦- جعل مفهوم الأمة المسلمة ينعكس على خصوصياتها عن الأمم الأخرى، إذ جعلها أمة عالمية، وأمة دائمة تحمل الخير للبشر، وجعل لها عصمتها العامة المنبثقة من عاصميتها؛ الكتاب والسنة. والحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع

- أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، الجزء الخامس، ترقيم محمد عبد السلام عبد الشافي، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، (ت٢١٥هـ)، معاني القرآن، الجزء الول، تحقيق فائز فارس، (ط١)، المطبعة العصرية، الكويت ١٤٠٠هـ=١٩٧٩م.
- آرنولد، السير توماس و، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن ابراهيم وزملاؤه، (ط٣)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (٢٨٢-٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، الجزء الخامس عشر، تحقيق ابراهيم الإياري، (د.ط)، (د.ناشر)، (د.ت).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (٢٢٤-٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري، الجزء الرابع، تحقيق محمود أحمد شاكر، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد الأول، (ط٤)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري بشرح فتح الباري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، اخراج محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

- البكري، خميس، رشدي، فكار في حوار متواصل حول قضايا تراث المسلمين، (ط١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن سودة، الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، الجزء الخامس، تحقيق ابراهيم عطيوه عوض، (ط١)، شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.
- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى البغا، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٧٧٣-٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الجزء الأول، الجزء الثامن، الجزء الثالث عشر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج محب الدين الخطيب، (د.ط)، المطبعة السلفية ١٣٨٠هـ.
- حسنة، عمر عبيد، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، كتاب الأمة، (ط١) رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ١٤٠٥هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر المشهور بمقدمة ابن خلدون، (د.ط) نشر عبد السلام هارون، القاهرة، (د.ت).
- الخولي، جمعة، تاريخ الدعوة، الجزء الثاني، (ط١)، دار الطباعة المحمدية، ال قاهرة، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- الدارمي، سنن الدارمي، الجزء الثاني، تحقيق مصطفى ديب البغا، (ط١)، دار القلم، دمشق، ١٩٩١م.



- الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، (ط٣)، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.
- الدريني، فتحي، دراسات وبحوث في الفكر الاسلامي المعاصر، الجزء الثاني، (ط١)، دار قتيبة، بيروت، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الدوري، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية، (ط١)، منشورات جامعة اليرموك، اربد، الاردن ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- الدوري، عبد العزيز، دراسات اسلامية، المحاضرة الثانية، (د.ط)، منشورات جامعة اليرموك اربد، الاردن، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، الجزء الرابع، (ط١)، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة، (د.ت).
- الراغب الأصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد، (ت٢٠٥هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)
- رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم للشيخ محمد عبده المسمى تفسير المنار، الجزء الرابع، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ابن السمين الحلبي، أحمد بن يوسف عبد الدائم المعروف بابن السمين الحلبي، (ت٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق عبد السلام أحمد التونجي الحلبي، (ط١)، دار اقرأ للطباعة والنشر، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ١٩٩٠م.

- سيف الدولة، عصمت، نظرية الثورة العربية، (ط١)، دار السيرة، بيروت، ١٩٧٩م.
- عبد الرحمن، طه، روح الحداثة، (ط١)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٦م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (د.ط)، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د.ت).
- العثيمين، محمد صالح، منهج أهل السنة في العقيدة والعمل مسائل وأجوبتها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى بها أبو عبد الله النعمان الأثري، (د.ط) مكتبة الصحابة، الشارقة، ومكتبة التابعين، القاهرة، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- الشهابي، إبراهيم يحيى، الاسلام دين الوحدة، (ط١)، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ١٩٩٨.
- الشهابي، ابراهيم يحيى، الشخصية العربية، (ط١)، دار الفتح، دمشق، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المشهور بتفسير ابن عطية، تحقيق عبد الله الأنصاري وزميله، الجزء الثالث، (ط١)، مؤسسة دار العلوم، نشر رئاسة المحاكم الإسلامية، قطر، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، الجزء الأول، تحقيق عبد السلام هارون، (ط٢)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٩هـ، = ١٩٦٩م.
- الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم الشيرازي، (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، الجزء الرابع، طبعة لوقان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
- القرضاوي، يوسف، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، (ط١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، الجزء الثاني، (د.ط)، نشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د.ت).
- قطب، سيد، حقائق التصور الاسلامي ومقوماته، (د.ط)، دار الشروق، بيروت، (د.ت).
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، الجزء الرابع والجزء الخامس، (ط٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ = ١٩٧٤م.
- الكيلاني، ابراهيم زيد، خصائص الأمة المسلمة كما تبينها سورة المائدة، (ط١) من منشورات جمعية المحافظة على القرآن، عمان، ٢٠٠٤م.
- الكيلاني، ماجد عرسان، إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها، كتاب الأمة رقم ٣٠، (ط١)، نشر رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ١٤١٢هـ.

- ابن ماجة، سنن ابن ماجة، الجزء الثاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت).
- المبارك، محمد، نظام الإسلام، الحكم والدولة، (ط٢)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ=١٩٧٤م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، (ط١)، دار ابن حزم، بيروت، ودار الصميعي، الرياض، ١٤١٦هـ.
- المودودي، أبو الأعلى، نظرية الإسلام وهدية، ترجمة محمد عاصم الحداد، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٨٩هـ=١٩٦٦م.
- الندوي، ابو الحسن علي الحسيني، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، (ط٣)، دار القلم، الكويت ودار الأنصار القاهرة، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.